التخطيط العمراني لمدينة كربلاء المقدسة (61هـ/ 1321هـ- من 680م/1940م)

أ.م.د. زين العابدين موسى ال جعفر الباحثة. وفاء كامل عبيد الخفاجي

جامعة كربلاء/ كلية التربية/ قسم التاريخ جامعة بغداد/ كلية الاداب/ قسم الاثار

Construction Planning Of The Holy City of Karbala For the Years (1940/ 680- 1321 H/ 61 H)

Asst. Prof.Dr. Zane Al- Abideen Musa Al- Ja'afar\ University of Karbala'a\ College of Education

Researcher Wafa'a Kamil Ubaid\ University of Baghdad/ College of Arts

Abstract

The Holy City of Karbala'a has a very important geographical location. This city grew in the cradle of civilization. Some Arabic tribes lived on this land taking the form of village making use of its fertile soil and then it began to grow. The city took its importance as the leader Kahlid bin Al- Waleed passed it in 14 H. and then Al- Emam Ali (peace be upon him) in 40 H. on his way to Sefeen. The importance of the city increased after the battle of Al-Taf. And the martyrdom of Al- Emam Al- Hussain and his brother Al-Emam Al-Abbas (peace be upon them) as they were buried in the city.

المقدمة

تميزت مدينة كربلاء المقدسة بموقع جغرافي مهم وقد اكتسب أهميتها منذ أقدم العصور، لأنها نشأت وتكونت على ارض وجدت بها أقدم الحضارات الإنسانية التي رفدت العالم بمختلف العلوم وكانت امتداداً لحضارة بابل، وأخذت هذه البقعة المباركة،التي سكن ارضها بعض القبائل العربية وعلى شكل تجمعات قروية بسيطة بسبب أرضها الخصبة الصالحة للزراعة، بالتوسع واحتلال مكانة مرموقة فلقد مر بها القائد خالد بن الوليد سنة 14 هـ، وقد مر بها الإمام علي (عليه السلام) سنة 40هـ في سفره إلى صفين، وزادت أهميتها وأصبحت آهلة بالسكان والبيوت بعد واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين وأخيه الإمام العباس (عليهما السلام) حيث دفنا فيها واكتسبت أهمية بالغة ويمكننا القول ان تطور ونشأة المدينة مرتبط ارتباطا وثيقا بعمارة هذين المرقدين وان أي عمارة تطرأ على المرقدين المقدسين تترك أثرها الايجابي في المدينة.

تناولنا في بحثنا هذا نبذة تاريخية عن تاريخ كربلاء المقدسة واتساعها وعملية تشيد البيوت التي ارتبطت بالعامل الديني والذي هو أساس في نشوء المدينة الإسلامية، ومن ثم انتقلت إلى فترات الحكم التي مرت على العراق وتأثيرها على مدينة كربلاء المقدسة.

وقد قسم البحث إلى مراحل عدة منها:

أولاً- التخطيط العمراني لمدينة كربلاء المقدسة التي قسمت بدورها على ثلاث مراحل:

1- المرحلة الأولى والتي تبدأ من سنة 680م - حتى سنة 1500م.

2- المرحلة الثانية وتمتد من سنة 1500م وحتى سنة 1920م.

وهذه المرحلة تم تقسيم أبواب المدينة وأسمائها ومواقعها في المدينة المقدسة والتي قسمت إلى ست أبواب , وأصبحت المدينة تقسم على قسمين الأولى يمثل كربلاء القديمة التي شيدت منذ القرن الرابع الهجري والثاني كربلاء الجديدة التي خطط لها الوالي مدحت باشا.

3- المرحلة الثالثة التي تبدأ عام 1921 وحتى عام 1949 وتعد هذه المرحلة من أهم المراحل من وجود ونشأة هذه المدينة المقدسة. ثم حاولت ان أوجز بعض النتائج التي توصلت إليها في نهاية البحث.

أولاً- مراحل التخطيط العمراني لمدينة كربلاء:

شهدت مدينة كربلاء في تاريخها الطويل تطورات عمرانية وأحداث تاريخية وسياسية واقتصادية واجتماعية أثرت في المدينة ومساحتها ونموها العمراني، ولا يمكن فهم هذا التطور دون التركيز على البعد الزمني لتاريخ نشأة المدينة وما تتضمنه من تغيرات أدت إلى نمو المدينة وتطور وظائفها.

لذا قسم المتخصصون[1] تاريخ مدينة كربلاء أربع مراحل حسب الحقب الزمنية التي شهدت أوضاعاً سياسية واقتصادية وعمرانية مر بها العراق بصور عامة ومدينة كربلاء بصورة خاصة ابتداء من استشهاد الإمام الحسين عليه السلام سنة (61هـ/680م) والذي أصبح قبره نواة نمو المدينة وصولاً إلى أخر مرحلة مرت بها المدينة المقدسة وما شهدته من تطور عمراني ملحوظ والذي يهمنا من هذه المراحل هي ثلاث مراحل والتي تقع ضمن محور دراستنا وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: (680م-1500م)

تتميز مدينة كربلاء بموقع جغرافي مهم، اكتسب أهمية كبيرة منذ أقدم العصور، لأنها تنتمي إلى حضارة الأقوام السامية[2] في العراق، وخاصة البابليين منهم[3]، وفي عصر الفتوحات الإسلامية كانت ارض تسكنها بعض القبائل العربية على شكل تجمعات قروية بسيطة وذلك لأنها تمتاز بأرضها الخصبة الصالحة للزراعة [4]، وقد أشار الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك حول حوادث سنة (12هـ / 631 م) بقوله ((وخرج خالد في عمل عياض[5] ليقضي مابينه وبينه، ولإغاثته، فسلك الفلوجة حتى نزل بكربلاء وأقام خالد على كربلاء أياما)[6] ومر بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (علية السلام) سنة (40 هـ) في سفره الى صفين [7]وفي سنة (65 هـ / 684 م)قام المختار ابن أبي عبيدة الثقفي حاكم الكوفة باحاطة قبر الإمام الحسين عليه السلام كالمسجد وبنى عليه قبة من الآجر والجص وبنى حوله عدد من البيوت وبذلك وضع حجر الأساس لمدينة كربلاء[8].

ويذكر الدكتور عبد الجواد الكليدار آل طعمة بقوله ((إن كربلاء بعد واقعة الطف صارت آهلة بالسكان والنفوس والبيوت))[9] وتعد هذه المرحلة من أهم المراحل التي مرت بها كربلاء.ويمكن القول إن تطور ونشأة المدينة مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمارة المرقد فأن أي عمارة تطرأ على المرقد تترك أثرها الإيجابي في المدينة فقد تعرض مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخيه العباس إلى عمليات اعمار عديدة على مر التاريخ بدأت أولها سنة (65هـ / 684م)حيث كانت خلالها قرية صغيرة تحيط بقبر الإمام الحسين عليه السلام والتي كانت عبارة عن مجموعة من البيوت الصغيرة مبنية من الطين وجذوع النخيل، أخذت هذه القرية بالنمو التدريجي طيلة سبعين عاماً حتى انهيار الدولة الأموية سنة (132هـ-750م) وقيام الدولة العباسية، وفي العام نفسه أخذت مدينة كربلاء تنمو بشكل أسرع مما كانت عليه أيام الأمويين[10].

---

(1) لقد كتب عدد من المختصين حول تاريخ مدينة كربلاء في دراساتهم وفي كافة المجالات سواء كانت جغرافية او تاريخية او في التخطيط الحضري وغيرها وهنا نحاول الاختصار ما استطعنا لذا ارتأينا عدم الإسهاب بذكر تاريخ وجغرافية وتخطيط المدينة المقدسة.

(2) الأقوام السامية: يطلق العلماء أسم الساميين على الشعوب البابلية – الأشورية والآرامية والفينيقية والعربية والعبرية، وترجع تسمية الساميون إلى أسم أحد أبناء نوح عليه السلام، اللامي، علاء، الحضور الأكدي والآرامي والعربي الفصيح في لهجات العراق والشام العامية، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2012، ص26.

(3) الأنصاري، رؤوف محمد علي، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، ط1، مؤسسة الصالحاني، دمشق 2006، ص 33.

(4) مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط1، دار السلاسل، الكويت، 1988،ج 1، ص 244.

(5) عياض ابن غنم بن زهير الفهري اسلم قبل الحديبة وشهدها مع الرسول (ص) وفتح فتوحات عديدة في الجزيرة العربية والشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب توفي سنة(20 ه639 م) ينظر: الخطيب البغدادي، أبي بكر احمد بن علي (ت 463 هـ / 1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص 196.

(6) الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير (ت 224 هـ/ 310)، تأريخ الرسل والملوك، تح محمد ابو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر،د. ت، ج 3، ص 373.

(7) آل طعمة،سلمان هادي، تراث كربلاء،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،2013، ص 21.

(8) كاظم، نادية جبار، اثر الأبعاد الإقليمية على معايير البنية الحضرية دراسة مدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي،جامعة بغداد، 2008، ص 79.

(9) آل طعمة عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين، ط1، دار جواد الأئمة، 2012، ص 68.

(10) الكليدار، عبد الحسين، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، بغداد، 1965، ص16.

اتسعت عملية تشيد البيوت حول المرقد بفعل العامل الديني الذي هو أساساً في بناء المدينة وأصبحت فيما بعد مركز لجذب السكان والاستيطان ولاسيما في زمن تولي الخلافة من قبل المأمون العباسي الذي عمر المرقد سنة (198هـ/ 816م) واستبدل شعار العباسيين بشعار العلويين[1]، إلا إن كربلاء تعرضت إلى نكسة عمرانية كبيرة في زمن خلافة المتوكل العباسي سنة (232هـ/846م) الذي أمر بهدم قبر الحسين عليه السلام وما حوله من بيوت ومنع الناس من زيارته[2] حتى وصفه ابن الأثيرفي حوادث 236هـ بقوله ((كان شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته، وكان انه من يتولى علي واهله يأخذه بالمال والدم))[3]، لذا فقد أثرت هذه النكسة العمرانية في المدينة من الناحيتين التخطيطية والعمرانية والاجتماعي لما لحق بالبيوت والمحال التجارية من خراب خلال مدة حكم المتوكل، إن المدينة عادت إليها الحياة بعد تولي ولده المنتصر بالله الخلافة (247هـ–861م) الذي أمر بإعادة بناء وعمارة المرقد والبيوت والمحال التجارية والأسواق بجواره ولم يمض قرن من الزمن إلا ونمت حول قبور الأئمة مدينة صغيرة تضم آلاف السكان[4].

اتسع عمران المدينة في عهد الدولة البويهية وبالخصوص في عهد عضد الدولة (370هـ–981م) الذي بنى أول مدرسة في كربلاء هي (المدرسة العضدية) وكان موقعها جانب مرقد الإمام الحسين عليه السلام[5]، وتشير المصادر التاريخية إلى إن بناء المدارس الإسلامية في العراق يرجع إلى عهد السلاجقة الذين حكموا العراق بعد البويهيين، وإن أول مدرسة شيدت من قبل السلاجقة هي المدرسة النظامية في بغداد التي شيدها نظام الملك سنة (459هـ/1067م)[6]، وفي سنة (371هـ/982م) شيد أول سور للمدينة يحيط بالمرقدين وما حولهما من بيوت في هذه الحقب و ازدهرت المدينة وأنشئت فيها الخانات والأسواق[7]، وبعد مرور فترة من الزمن تعرض السور للتآكل فأعيد تعميره سنة (479هـ/1087م) في عهد السلاجقة وازداد الجانب العمراني للمدينة تطوراً في القرنين السابع والثامن الهجريين لاسيما في أيام الجلائريين[8].

زار الرحالة الشهير أبن بطوطة المدينة سنة (727هـ/1327م)ووصفها((بأنها مدينة صغيرة تحفها بساتين النخيل وتستمد مياهها من الفرات وقد نمت حول الضريح المبارك وبنيت إلى جانبه مدرسة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وأهل هذه المدينة طائفتان هما أولاد زحيك وأولاد فائز))[9]، ومن وصف أبن بطوطة يبدو إن المدينة تحتوي على محلتين سكنيتين الأولى (آل زحيك) في الجانب الشمالي والشرقي تمثل اليوم محلة السلالمة وباب المخيم أما الثانية (آل فائز) تمثل محلة باب بغداد وباب الخان تتخللهما المسالك والأزقة غير السالكة وتنتشر فيهما المدارس والأسواق ويأخذ هذا الشكل العمراني الجديد شبه دائري[10](الخارطة 1).

ويتضح من خلال هذه المرحلة المهمة في حياة المدينة بروز جانب مهم من خدمات المدينة الأساسية إلا وهي الخدمات التعليمية التي كانت مقتصرة على المدارس الدينية، فلم يكن المسجدان المشيدان عند قبري الحسين والعباس (عليهما السلام) أماكن للعبادة بل كانت مدرستين للعلوم الدينية والشرعية واللغة العربية ومما زاد هذين المسجدين سمة علمية أكبر وجود المكتبات العلمية التي تضم نفائس ونوادر الكتب والمخطوطات والمؤلفات العربية وغير العربية التي كانت محل طلبة العلوم الدينية[11].

---

(1) أبو لحمة، علي عبود حسين، موجز وقائع تاريخية لمدينة الحسين عليه السلام،دار التوحيد، الكوفة، 2011، ص104.
(2) الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987، ج8، ص93 ؛ كربلاء في عهد العباسيين، إعداد مركز تراث كربلاء، ط1، 2013، ص17.
(3) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، (ت 630 هـ / 1232 م)، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987، مج6، ص 108.
(4) الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، 1982، ص184.
(5) الأنصاري، رؤوف محمد علي، مراحل التطور العمراني لمدينة كربلاء ومظاهر التخريب في السنوات الأخيرة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، وقائع الندوة العلمية حول كربلاء المنعقدة في لندن، 1996، مطبعة الزهراء الخيرية، الكويت، ص604.
(6) حيدر، كامل محمد، المدارس العباسية القائمة في العراق تخطيطها وعمارتها، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986، ص30.
(7) عبد الواحد، حيدر عبد الهادي، دراسة تأثير استعمالات الأرض على تصميم شبكة الطرق في إعداد التصميم الأساس للمدينة (منطقة الدراسة – التصميم الأساس لمدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي،جامعة بغداد،2010،ص92.
(8) الموسوي، المصدر السابق، ص185.
(9) ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الصادر، بيروت، 1992، ص221.
(10) الموسوي، المصدر السابق، ص185.
(11) الحلي، عبود جودي، الأدب العربي في كربلاء، منشورات مكتبة أهل البيت، كربلاء، 2005، ص28.

أما على صعيد الخدمات الصحية فهي رديئة فبسبب قلة الوعي الصحي وقلة وجود الأطباء وعدم توفر أشخاص متخصصين بعلم الطب انتشرت الأمراض كالطاعون والحصبة وغيرها في عموم العراق، ومنها مدينة كربلاء مما دعا الناس إلى مراجعة الحكيم[1] ليجدوا علاجاً لبعض أمراضهم[2].

ومن خلال ما تقدم تميزت مدينة كربلاء المقدسة بمواصفات المدينة العربية من حيث الأسوار التي تحيط بها وبواباتها، وأزقتها الضيقة والمتعرجة والتي لا تتبع نظاما واحدا، كما اعتمد نظام الانفتاح للداخل في مختلف الأبنية منها السكنية ومدارس العبادة، لذا أصبح استعمال الدين يمثل الجانب الروحي للمدينة، في حين يمثل الاستعمال التجاري والسكني الجانب المادي منها، فقد شغل الاستعمال الديني للمرقدين المقدسين اللذين يتوسطان التكوين العمراني للمدينة، والمدارس الدينية والمساجد المنتشرة في المحلات السكنية. أما الاستعمال التجاري فيتمثل بالأسواق الشريطية التي تمتد بين المرقدين وحولهما،فضلا عن الخانات المستخدمة كسكن مؤقت للزوار.

المرحلة الثانية (1500م–1920م)

دخلت مدينة كربلاء بعد استيلاء الدولة الصفوية[3] على العراق (914هـ–1508م) مرحلة عمرانية جديدة إذ شهدت المدينة توسعاً على يد الدولة الصفوية فأخذت المدينة تتوسع عمرانياً بشكل دائري حول المرقدين المقدسين[4]، وبدأت النشاطات تنمو فيها كبناء الخانات والأسواق وازداد التبادل التجاري ما بين المدينة وأطرافها، وتطورت الصناعات الحرفية، كونها مقصد لآلاف الزائرين من مدن مختلفة، وبالتالي انعكس هذا الواقع على الجانب الاقتصادي للمدينة بشكل كبير[5]، وتبعاً لذلك كان له تأثير على واقع مدينة كربلاء من الناحية العمرانية والاجتماعية[6].

حظيت مدينة كربلاء في عهد السيطرة العثمانية باهتمام واسع من قبل السلطان سليمان القانوني (941هـ–1534م)[7] فاهتم بالمراقد المقدسة وأمر بشق نهر يروي المدينة سمي (بنهر السليمانية) نسبة إلى اسمه والذي سمي اليوم (بنهر الحسينية) وما زال يروي أراضي المدينة إلى يومنا هذا[8].

زار مدينة كربلاء الرحالة البرتغالي (بيدرو تكسيرا) سنة (1013هـ–1604م) ووصفها ((بأنها مدينة تحتوي على أربعة آلاف بيت وكانت أسواقها مبنية بناءاً محكماً بالطابوق ومليئة بالبضائع والسلع ووصف (تكسيرا) أن هناك بركتين من الماء في محيط المدينة على جهة الفرات أنشئتا للنزهة والتسلية وحولهما بعض الأبنية))[9].

وفي عام (1178 هـ– 1765م) زار المدينة الرحالة الألماني (كارستون نيبور) وقد وصفها بأنها ((بلدة تحيط بها البساتين وبيوتها مبنية من اللبن غير المفخور وكانت مسورة بسور من اللبن وكان لهذا السور خمسة أبواب)) [10]، وقد أشار (نيبور) إلى البرك المائية التي أشار إليها تكسيرا[11].

---

(1) الحكيم: شخص يقوم بتطبيب الأبدان عن طريق التداوي بالأعشاب.

(2) آل طعمة، سلمان هادي، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، 1988م، ص340.

(3) الصفويين: هم من أسرة تركمانية، صفوية تنتسب إلى الشيخ صفي الدين (1334م)، واستغل حفيده (إسماعيل الصفوي (1500-1524م) حالة الضعف في حكومة لات قدينلو فهزمهم في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، واستطاع أن يمد سلطانه على أرجاء فارس ثم حمل على العراق عام (1508م). للمزيد ينظر: حسن، طالب محيبس، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (1501-1524م) أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007، ص13، 168.

(4) الأنصاري، مراحل التطور العمراني لمدينة كربلاء ومظاهر التخريب في السنوات الأخيرة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، ص606.

(5) آل طعمة، عبد الجواد، المصدر السابق، ص232-233.

(6) النويني، محمد، أضواء على معالم محافظة كربلاء، ط1، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، 1971، ج1، ص78.

(7) سليمان القانوني (1520م-1566م): في عهده بلغت الدولة العثمانية أوج قوتها واتساعها في عام (1533م) استولى على المنطقة الممتدة من أرض روم للاستيلاء على أذربيجان ثم زحف بقوة على فارس واحتل تبريز، ثم احتل العراق عام 1534م، واحتل بغداد ومناطق العراق دون مقاومة من الفرس، توفي سليمان القانوني في عام (1566م). ينظر: ياغي،إسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة الابيكان،1996، ص62-74.

(8) الخليلي، المصدر السابق، ص265 ؛ لونكريك، المصدر السابق، ص39.

(9) آل نصر الله،عبد الصاحب ناصر، كربلاء في أدب الرحلات، ط1، مؤسسة البلاغ، 2013،ص71-72.

(10) أصبح الأبواب فيما بعد ستة وسنأتي على ذكرهن لاحقا.

(11) نيبور، كارستن، رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون، ط1، دار الوراق للنشر، بغداد، 2012، ص132-133.

وقد تعرضت مدينة كربلاء إلى أعنف هجوم من قبل الوهابية[1]، (1216هـ-1801م) وصادف هذا اليوم عيد الغدير وكان معظم سكان المدينة قد ذهبوا إلى مدينة النجف لزيارة الإمام علي أبن أبي طالب ﷺ في هذه المناسبة السنوية فاقتحموا المدينة وهدموا أسوارها ونهبوا أسواقها وحرقوا المرقدين ونهبوا ما به من تحف وهدايا ومجوهرات[2]، وكان على أثر هذه الحادثة أمر الحاكم العثماني في بغداد بتسوير المدينة بسور خاص لصد مثل هذه الهجمات وجعل له ستة أبواب وبقي هذا السور قائماً إلى أواخر أيام العثمانيين في العراق وأبواب السور(خارطة2) هي:

1- باب الخان: تقع إلى الجانب الشرقي من المدينة وسميت بهذا الاسم نسبة إلى الخان أقيم بالقرب من السور[3].
2- باب الطاق: سمي بهذا نسبة إلى وجود طاق السيد إبراهيم الزعفراني أحد رجالات كربلاء.
3- باب السلالمة: تقع في شمال المدينة، وقد سميت بهذا نسبة إلى عشيرة السلالمة[4].
4- باب بغداد: تقع في الشمال الشرقي للمدينة وسميت بهذا الاسم لأنها المدخل الرئيس للزوار الوافدين من مدينة بغداد.
5- باب النجف: تقع هذه المحلة في وسط المدينة بين (الروضة الحسينية والعباسية) وهو الباب الذي يمر منه المسافرون إلى مدينة النجف.
6- باب المخيم: تقع في الجنوب الغربي من المدينة، وسمي بهذا الاسم تيمناً بوجود المخيم الحسيني[5].

شهد العراق حالة أشبه بالاستقلال السياسي عن السلطة العثمانية خلال حكم المماليك للعراق (1750-1831م)[6]، لكن الدولة العثمانية استطاعت في عام (1831م) من السيطرة على العراق، وتعيين علي رضا باشا والياً عثمانياً على العراق للمدة من (1831-1842م)[7].

تعرضت مدينة كربلاء إلى أعنف هجوم من قبل الدولة العثمانية في عهد الوالي نجيب باشا (1842-1849م) والتي سميت بحادثة كربلاء [8]عام (1292هـ- 1857م) في عهد والي بغداد العثماني السردار عمر باشا بالاتفاق مع الحكومة البريطانية أصبحت المدينة سنجق (محافظة) تابعة لولاية بغداد[9]، زار المدينة (1280هـ-1864م) عضو الجمعية الجغرافية الملكية بلندن الإنكليزي (المستر جون أشر) وأشار جون إلى وجود سور كبير محيط بالمدينة، ويصف المدينة بأنها بلدة مزدحمة بالسكان وحركتها مستمرة ويذكر إن كل شبر فيها من الأرض مشغولاً بالبيوت المتراصة بعضها بجانب بعض، وعدد من مسلمي الهند مقيماً في بيوت قريبة من الضريح المقدس[10]، وفي عام (1286هـ-1869م) زار

---

(1) الوهابية: حركة دينية ظهرت في شبه الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر على يد محمد أبن عبد الوهاب الذي أسس الحركة الوهابية، ودعا أتباعها بـ(الوهابيين) نسبة إلى مؤسسها، ويعتقدون بأن الغزو واجب وأنهم أهل دين. للمزيد ينظر: أبن غنام، حسين، تاريخ نجد، ط1، القاهرة، 1961، ص13-17 ؛ لونكريك، ص255-256.

(2) ينظر: آل طعمة، تاريخ كربلاء وحائر الحسين ﷺ، ص209-211 ؛ لونكريك،المصدر السابق، ص260-261.

(3) الغفاري، علي حسين الخفاف، دليل كربلاء السياحي بين التراث والمعاصرة،مكتبة الحكمة،ط1، 2012، ص51.

(4) آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، ص173.

(5) آل طعمة، تراث كربلاء، ص104.

(6) ينظر: نورس، علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق (1750-2831م)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975، ص30-255.

(7) ظل العراق حتى (1869م) وحدة إدارية باشوية بغداد ثم أصبحت فيما بعد ولاية بغداد، وانبثقت منها عام (1879م) ولاية الموصل، وفي عام (1884م) ولاية البصرة. للمزيد من التفاصيل ينظر: النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني 1969-1917م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص66.

(8) حادثة كربلاء: ترأس إبراهيم الزعفراني جماعة من أهل مدينة كربلاء أطلق عليهم اسم (اليرمازية) ويقصد بهم الأشرار من طبقات المجتمع، وقد تقوت هذه الجماعة ونما عددها بمرور الأيام، وكان ينتمي إليها كل من يهرب من سلطة الحكومة من مختلف مدن العراق، وقد سيطرت هذه الجماعة على المدينة في عهد المماليك زمن داوود باشا وعند مجيء الوالي علي رضا باشا إلى العراق أرسل جيشاً إلى كربلاء وحاصرها فخرج إليه وجهاء المدينة ودفعوا له سبعين ألف قران فضي وترك كربلاء وعندما جاء الوالي نجيب باشا عام (1842م) عزم على مهاجمة تلك الجماعة وإرجاع كربلاء إلى سيطرة الدولة فأنذرها وأمهلها شهراً كاملاً، فلم تستجب المدينة لإنذاره، فوجه إليها جيشاً مجهزاً بالمدافع، وحدثت هذه المدافع ثغرة في السور من جهة باب الخان وذهب بعض الأهالي إلى القبائل المجاورة واشتدت المعركة وقتل فيها آلاف وانتصر فيها الجيش العثماني ودخل المدينة وقتل كل من لاذ إلى مرقد العباس ﷺ. للمزيد ينظر: الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ط1، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، 2009، ص210 ؛ زميزم، سعيد رشيد، كربلاء وثورة العشرين، ط1، مؤسسة الثقلين، كربلاء، 2008، ص19.

(9) المطيري، مهنا رباط، المفصل في تاريخ كربلاء، ج5، ط1، 2003، ص37.

(10) آل نصر الله، كربلاء في أدب الرحلات، ص201-202.

مدحت باشا[1] مدينة كربلاء على أثر شكوى قدمها الأهالي ضد قائم مقام كربلاء إسماعيل باشا، لأنه لا يهتم ولا يبالي بأمور المدينة والقضاء فأمر بعزله[2]، وعند تجوله في مدينة كربلاء وجد المدينة صغيرة وشوارعها ضيقة ومزدحمة بالزائرين[3]، قد جرى تعديلات عمرانية كبيرة في المدينة، فقام بإنشاء محلة سكنية خارج سور المدينة القديم وأطلق عليها العباسية الشرقية[4]، ثم توسعت هذه المدينة إلى قسمين العباسية الشرقية والعباسية الغربية[5]، (الخارطة4) وبعد إنشاء هاتين المحلتين أمر الوالي بتوزيع البيوت على أهالي المدينة وأمر بإنشاء سوق في محلة العباسية الشرقية، وتشييد خان عند مدخل محلة العباسية الغربية، وبذلك أصبحت مدينة كربلاء تقسم على قسمين:

الأول: يمثل كربلاء القديمة التي شيدت منذ القرن الرابع الهجري في عهد عضد الدولة البويهي، ويمتاز بالكثافة السكانية وضيق الأزقة وتعرجها[6].

الثاني: أما الجديد الذي خطط له الوالي مدحت باشا على طراز حديث بشوارع مستقيمة واسعة متعامدة وتمتاز بطراز عمارتها الهندسي البديع[7]، كما قام بتشييد عدد من الطرق والجسور التي تربط مدينة كربلاء بمدن العراق الأخرى[8].

ارتقت مدينة كربلاء إلى درجة المدن المتوسطة في العراق عام (1880) بعد أن وضعت لها خطط لشوارعها وأحيائها ومحلاتها ثم ربطت بكافة المدن الصغيرة المجاورة.

يصف المدينة جون بيترز رئيس بعثة الآثار بنسلفانيا عام 1892 بأنها مدينة مزدهرة توسعت خارج أسوارها القديمة وفيها الشوارع الواسعة والأرصفة المنظمة[9]، وعام 1912 زار المدينة الرحالة الجيكوسلوفاكي مواسيل وذكر إن عدد سكانها قرابة الثلاثين ألف نسمة وأشاد بعمرانها وضريح الإمام الحسين (عليه السلام) وأخيه أبو الفضل العباس (عليه السلام) وأشاد بعمرانها وهيئتها العمرانية[10].

وقد حدث تغيير سياسي مهم يتمثل في الاحتلال البريطاني للعراق الذي بدا بدخول الجيش الانكليزي للبصرة (1914) والذي احدث تغييرات في البنية العمارية في العراق بصورة عامة وفي مدينة كربلاء المقدسة بصورة خاصة والذي جاء عبر شق الطرق والشوارع في المدن العراقية لأسباب عسكرية، متمثلا بشارع الرشيد في بغداد، وشارع العباس(عليه السلام) الممتد من باب الصحن الشريف إلى المحلة العباسية وكان ذلك في عام 1916 ويعد هذا أول شارع مستقيم في المدينة القديمة[11] (شكل1)، كما شهدت مرحلة الحرب العالمية الأولى وما أعقبها من تطورات، نشوء متطلبات اجتماعية جديدة وأدت بدورها إلى أن يكون البيت التقليدي غير قادر على إشباع تلك المتطلبات، فكان من الضروري إيجاد شكل عمراني جديد يلبي ما تم ذكره. لذلك عمد مهندسو وبناءو تلك المرحلة إلى إيجاد حلول لتشبع التطورات الجديدة[12].

---

(1) مدحت باشا: اشتهر كثيرا في تاريخ تركيا الحديث وقد برز كقائد لحركة تركيا الفتاة رغم انه لم يكن له صلة مباشرة بالنشاط الدائر في لندن وباريس، تولى عدة مناصب في الادارة والحكومة في الدولة العثمانية فقد حصل على وظيفة الصدارة العظمى، ثم ترقى سريعا بعد ذلك في خدمة الباب العالي ثم عين حاكما على ولاية الدانوب الجديد واسند اليه رئاسة مجلس الدولة، ثم عين على ولاية بغداد (1286- 1289 هـ / 1869 – م1872)وفي جميع هذه المناصب التي تولاها اظهر دراية ومقدرة وكفاءة وكان قد وضع قانون الدستور العثماني اعام (1876 م) ينظر: ياغي، المصدر السابق، ص 175- 176.

(2) فيا، ديليك، كربلاء في الأرشيف العثماني، دراسة وثائقية (1840-1876)، تر: حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008، ص297-298.

(3) مطر، سليم وآخرون، موسوعة المدائن العراقية، مركز الدراسات الأمة العراقية، ميوزبوتيميا، بغداد 2005، ص 279.

(4) المطيري، المصدر السابق، ص37.

(5) العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، بغداد، ج7، ص172.

(6) بابان، جمال، أصول أسماء المدن والمواقع العراقية، ط2، ص246 ؛ الغفاري، المصدر السابق، ص53-54.

(7) الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، 1948، ص102.

(8) جعفر، نوري، كربلاء بين الماضي والحاضر، الكويت، 1994، ص13.

(9) الخليلي، المصدر السابق، ص307 ؛ آل طعمة، كربلاء في الذاكرة، ص34.

(10) المواسيل، الفرات الأوسط (رحلة وصفية ودراسات تاريخية)، نج: صدقي حمدي، عبد المطلب عبد الرحمن، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1990، ص67.

(11) الكناني، عقيل عبد الأمير،جدلية الأبنية العمرانية المعاصرة وأثرها في تشكيل المدينة العربية (دراسة (التواصل / الانقطاع) في بنية كربلاء العمرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، 2004،ص 101.

(12) آل نصر،رشا مالك محمد، أثر تغير انظمة مسارات الحركة في استعمالات الارض في المراكز التقليدي لمدينة كربلاء،رسالة ماجستير غير منشورة،مركز الحضري والإقليمي، جامعة بغداد،2004م، ص 63.

تحسنت الخدمات البلدية في عهد مدحت باشا وتطورت مع الاحتلال البريطاني، حيث تحددت واجباتها في تلك الحقبة على توسيع بعض الشوارع وردم الحفر للمياه الأسنة والناجمة عن صناعة الطابق، مع تسقيف بعض الأسواق، وقد باشرت في تنفيذ بعض المشاريع المهمة كمشاريع الكهرباء والماء وآلات الطحن[1].

ومن خلال هذا التطور العمراني الذي قطعته المدينة توضحت معالمها العمرانية بصورة كبيرة.

المرحلة الثالثة (1921-1949م)

تعد هذه المرحلة من المراحل المهمة في حياة المدينة وسكانها لأن بنيتها تكاملت عمرانياً، وانتقل العراق من سلطة الاحتلال الأجنبي (العثماني والبريطاني) الى قيام الدولة العراقية الحديثة (1921) حيث بدأ العمران في المدينة يأخذ شكلاً جديداً كسائر المدن العراقية الكبيرة إذ أدخلت أساليب جديدة في البناء لاسيما الأبنية التي استحدثت خارج حدود المدينة القديمة، فبدأت المناطق الجديدة من المدينة بالابتعاد عن الأزقة الضيقة والطرق الملتوية التي تميز بها الجزء القديم منها وخاصة في المناطق المحيطة بالمرقدين المقدسين، ولأول مرة استعملت في المباني الجديدة مواد بناء كالاسمنت والحديد وخاصة الشيلمان الذي استعمل بكثرة في تسقيف البيوت والأبنية بدلاً من أخشاب جذوع النخيل وألواح الحور (القوغ)[2].

ربطت المدينة بفرع من خط سكة الحديد الذي يربط بغداد بالبصرة (1923) بطول (38,5كم) عند اتصاله بالخط الرئيسي الذي يمر بسدة الهندية لذا أنشئت محطة للقطار جنوب المدينة مما شكل عاملاً جديداً لتوسيع المدينة باتجاه الجنوب[3]، كما ألحقه أصلاح في (1935) تمثل بفتح شارع الإمام علي ﷺ الذي ربط محلات المدينة القديمة بالجديدة وكذلك شارع على الأكبر الذي ربط المرقدين ببعضهما، وشهدت هذه المرحلة نمو سكاني سريع وتوسيع أحيائها السكنية ففي نهاية الأربعينات تم توزيع الأراضي السكنية الجديدة في الجهات الغربية والجنوبية من المدينة لذلك أنشئ حي الحسين في (1949) جنوب المدينة وحي المعلمين في بداية الخمسينات تلاه في 1956 حي العباس والسعدية والجمعية حتى أصبحت مساحة المدينة تقدر بحوالي (25كم^2)[4] (خارطة 3).

ويتضح في هذه المرحلة إن المدينة فقدت أسوارها وزادت مساحتها العمرانية وكانت بداية للتأثر في الفكر الغربي في تخطيط المدينة فظهرت فكرت جديدة على تصميم وبناء البيوت فكان الانفتاح نحو الخارج في وضع للشبابيك قد أعطى شكلا آخـــر العمران المدينة في حين نجد مركز المدينة التقليدي ضل محافظا على مبدأ الانفتاح للداخل عدا المناطق التي اخترقتها الشوارع المستقيمة لذا توسعت المساحة المشغولة بالسكن مع استمرار وظيفة المدينة الدينية.

الاستنتاجات

1- إن مدينة كربلاء لها امتداد حضاري إنساني منذ وجود الحضارات في العراق فهي مدينة نشأة على ارض ولدت فيها حضارات بابل وسومر واكد.
2- ازدادت أهمية هذه المدينة بعد الفتوحات الإسلامية وخاصة بعد معركة ألطف التي أضفت عليه قدسية استمدتهما من مرقدي الإمام الحسين وأخيه أبو الفضل العباس (عليهما السلام)
3- إن تخطيط هذه المدينة وتطورها لم يقف عند الحد الذي أسست عليه من بداية نشئتها ومازال التطور العمراني يزداد جيلا بعد جيل.
4- من الخطأ حصر المدينة القديمة في مكان محدد لان قدسية هذه المدينة أصبحت أوسع حيت بلغ التوسع العمراني الحضري للمحافظة ككل ولم ينحصر مابين الحرمين.

---

(1) حسن، علي نوري، "تجربة التخطيط المعاصرة في العراق"، المدينة والحياة المدنية تأليف نخبة من أساتذة التاريخ، دار الحرية، بغداد، 1988م، ج3، ص171.
(2) الأنصاري، رءوف محمد علي، المصدر السابق، ص608.
(3) آل نصر الله، رشا مالك،محمد، ص45.
(4) ينظر: الغفاري، المصدر السابق، ص67-68-194-202.

5- إن مراحل التطور العمراني التي جرت على عمارة مدينة كربلاء المقدسة بعد دخول الاحتلال البريطاني للعراق جعل منها مدينة تأخذ بأهم مااضفى على عناصر العمارة الحديثة من خلال إدخال الأساليب الحديثة في البناء وأخذت بالانفتاح حيث توسعت الأزقة الضيقة والطرق الملتوية.

6- لقد تم استعمال في المباني الجديدة مواد وعناصر عمارية جديدة كالاسمنت والحديد (الشيلمان) حيث اعتمدوا سابقا على جذوع النخيل وأخشاب الأشجار المتوفرة محليا.

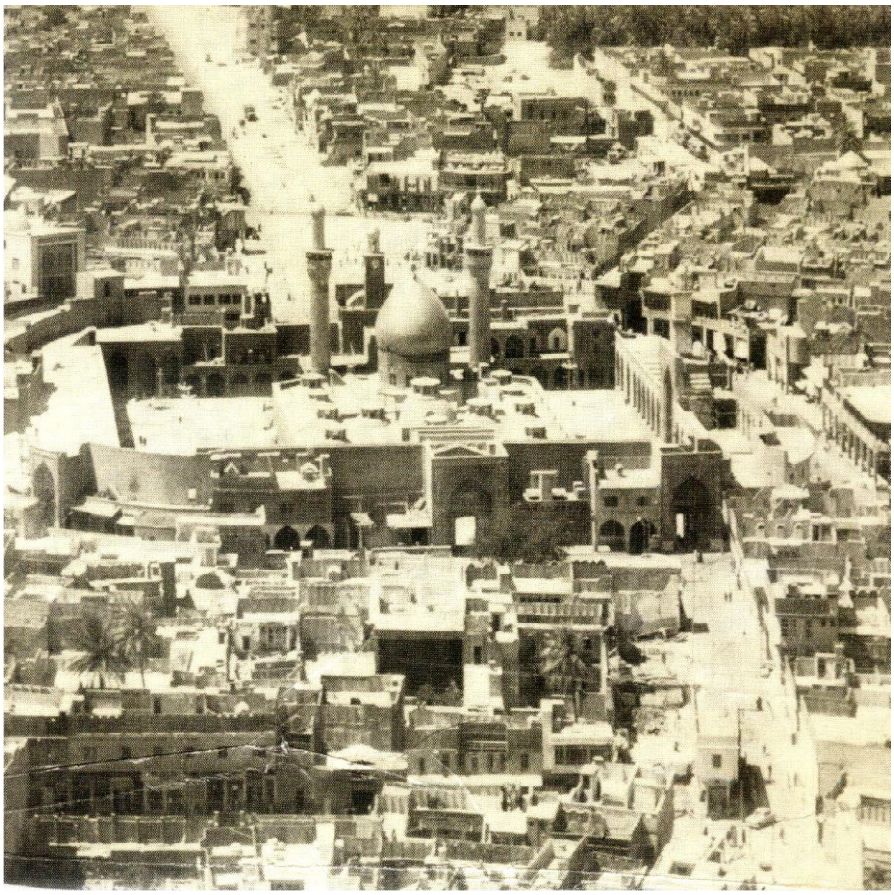

شكل (1) شارع العباس (عليه السلام)

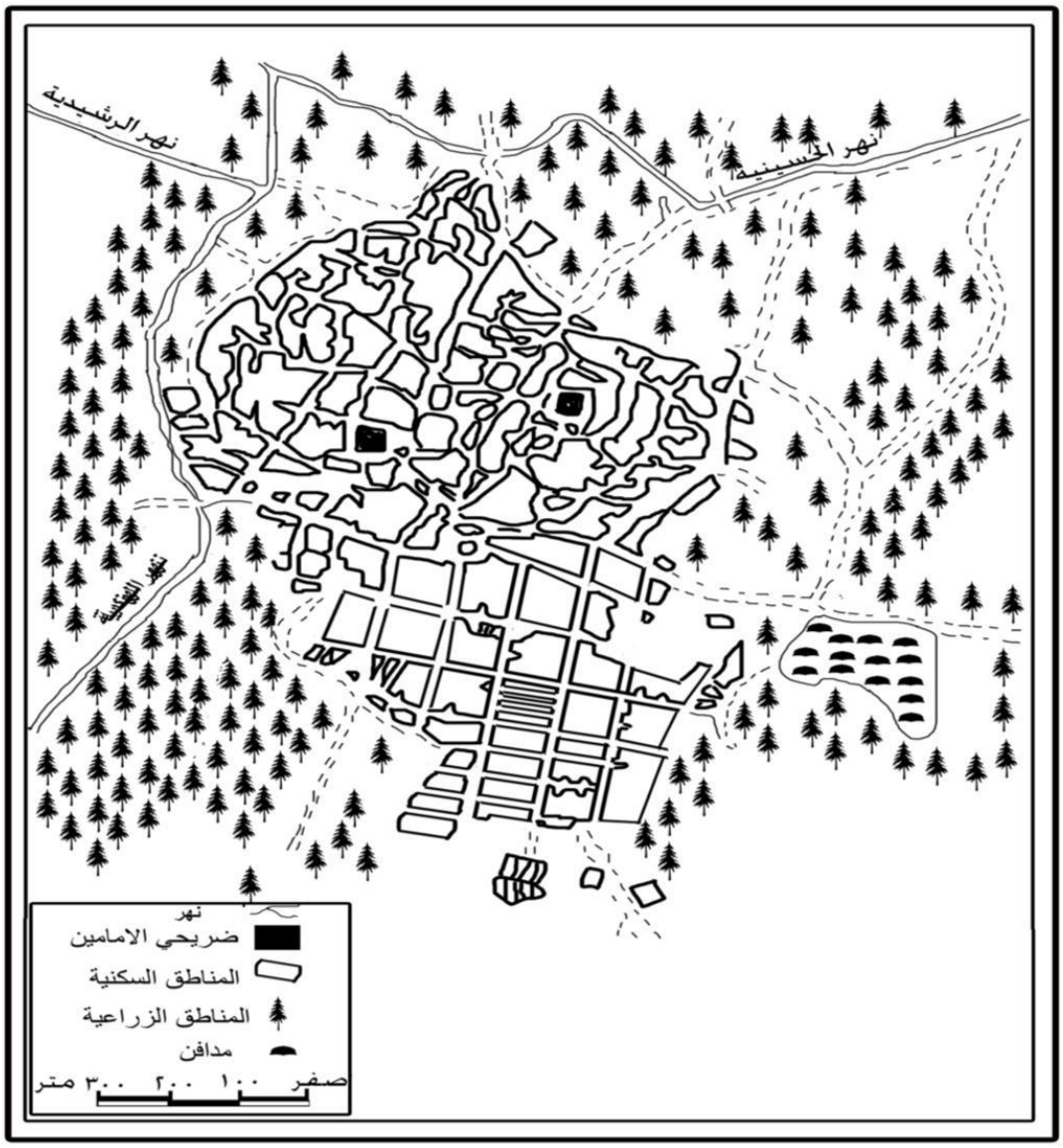

خارطة (1)

التخطيط العمراني للمرحلة الاولى لمدينة كربلاء المقدسة

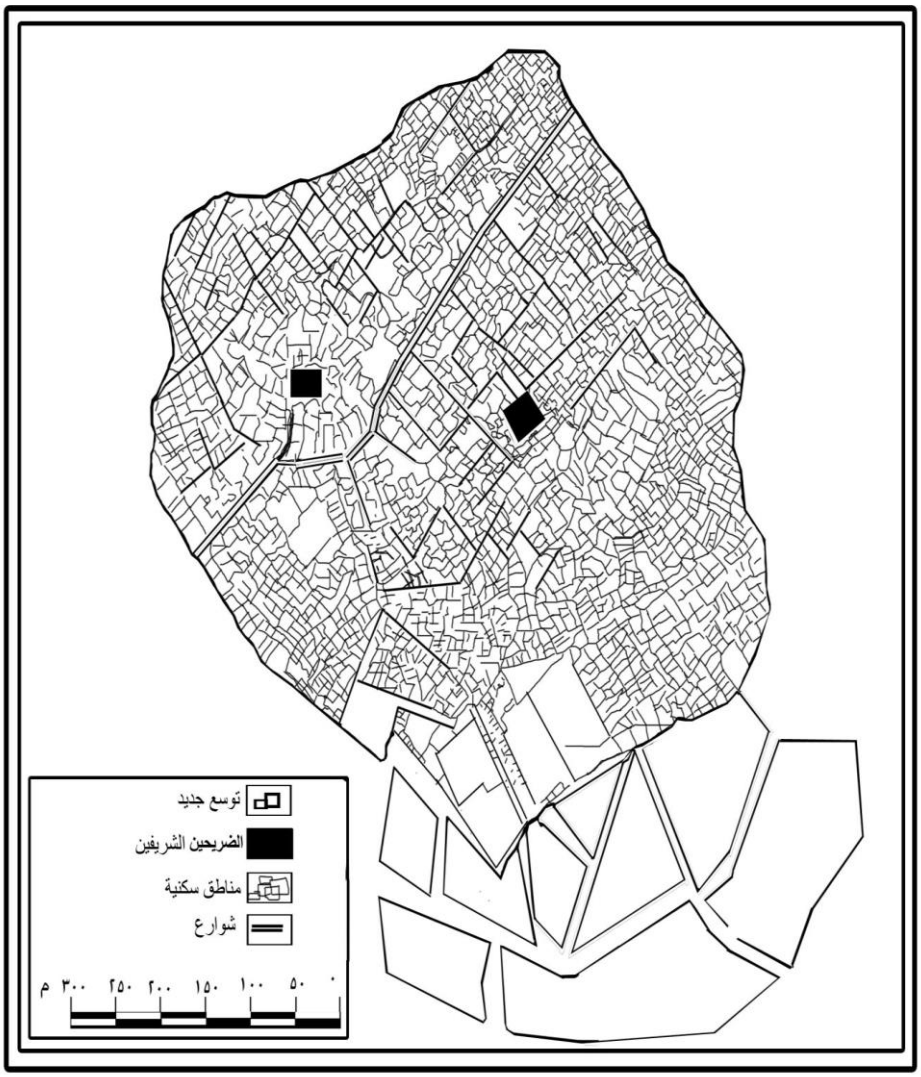

خارطة (2)

التخطيط العمراني المرحلة الثانية لمدينة كربلاء المقدسة

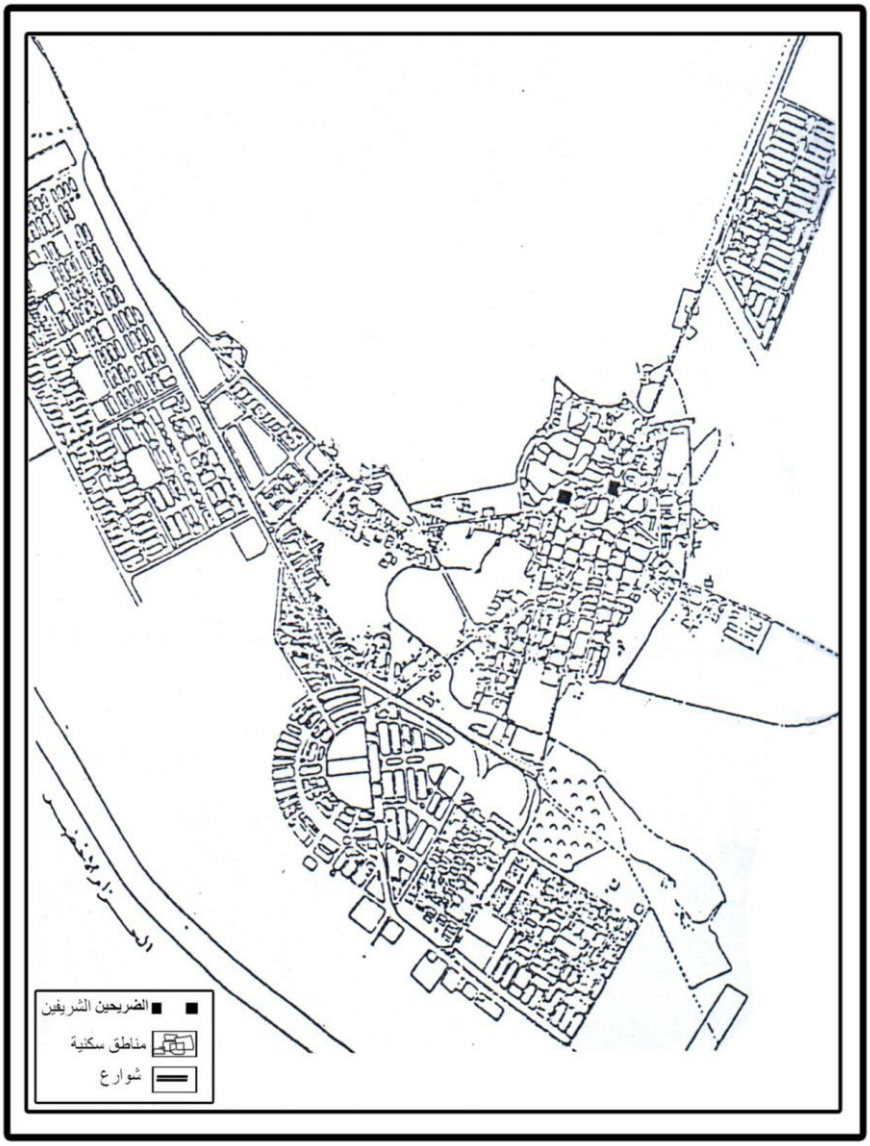

خارطة (3) التخطيط العمراني للمرحلة الثالثة لمدينة كربلاء المقدسة

المصادر

1- اللامي، علاء، الحضور الأكدي والآرامي والعربي الفصيح في لهجات العراق والشام العامية، ط1، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، 2012.

2- الأنصاري، رؤوف محمد علي، عمارة كربلاء دراسة عمرانية وتخطيطية، ط1، مؤسسة الصالحاني، دمشق 2006.

3- مصطفى، شاكر، المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، ط1، دار السلاسل، الكويت، 1988،ج 1، ص 244.

4- الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي (ت 463 هـ / 1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1.

5- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير (ت 224 هـ/ 310)، تأريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر،د. ت، ج 3.

6- كاظم، نادية جبار، اثر الأبعاد الإقليمية على معايير البنية الحضرية دراسة مدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي،جامعة بغداد، 2008.

7- آل طعمة،عبد الجواد الكليدار، تاريخ كربلاء وحائر الحسين، ط1،دار جواد الأئمة، 2012.

8- الكليدار، عبد الحسين، بغية النبلاء في تاريخ كربلاء، بغداد، 1965.
9- أبو لحمة، علي عبود حسين، موجز وقائع تاريخية لمدينة الحسين(عليه السلام)، دار التوحيد، الكوفة، 2011.
10-الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، قسم كربلاء، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1987.
11-كربلاء في عهد العباسيين، إعداد مركز تراث كربلاء، ط1، 2013.
12-ابن الأثير، ابي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، (ت 630 هـ / 1232 م)، الكامل في التاريخ، تح: ابي الفداء عبد الله القاضي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987.
13-الموسوي، مصطفى عباس، العوامل التاريخية لنشأة وتطور المدن العربية الإسلامية، دار الرشيد، بغداد، 1982.
14- الأنصاري، رؤوف محمد علي، مراحل التطور العمراني لمدينة كربلاء ومظاهر التخريب في السنوات الأخيرة، دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، وقائع الندوة العلمية حول كربلاء المنعقدة في لندن، 1996، مطبعة الزهراء الخيرية، الكويت.
15-حيدر، كامل محمد، المدارس العباسية القائمة في العراق تخطيطها وعمارتها، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1986.
16-عبد الواحد، حيدر عبد الهادي، دراسة تأثير استعمالات الأرض على تصميم شبكة الطرق في إعداد التصميم الأساس للمدينة (منطقة الدراسة – التصميم الأساس لمدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي،جامعة بغداد،2010.
17-ابن بطوطة، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الصادر، بيروت، 1992.
18-الحلي، عبود جودي، الأدب العربي في كربلاء، منشورات مكتبة أهل البيت، كربلاء، 2005.
19-آل طعمة، سلمان هادي، كربلاء في الذاكرة، مطبعة العاني، بغداد، 1988.
20-حسن، طالب محيبس، إيران في عهد الشاه إسماعيل الأول (1501-1524م) أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2007.
21- النويني، محمد، أضواء على معالم محافظة كربلاء، ط1، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، 1971، ج1.
22-ياغي، إسماعيل احمد، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة الابيكان،1996.
23-آل نصر الله،عبد الصاحب ناصر، كربلاء في أدب الرحلات، ط1، مؤسسة البلاغ، 2013.
24-نيبور، كارستن، رحلة نيبور الكاملة إلى العراق، ترجمة: سعاد هادي العمري وآخرون، ط1، دار الوراق للنشر، بغداد، 2012.
25-ابن غنام، حسين، تاريخ نجد، ط1، القاهرة، 1961.
26-الغفاري، علي حسين الخفاف، دليل كربلاء السياحي بين التراث والمعاصرة،مكتبة الحكمة، ط1، 2012.
27-نورس علاء موسى كاظم، حكم المماليك في العراق (1750-2831م)، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1975.
28-النجار، جميل موسى، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد في عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثماني 1969-1917م، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991.
29-الوردي، علي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، ط1، دار ومكتبة دجلة والفرات، بيروت، 2009.
30- زميزم، سعيد رشيد، كربلاء وثورة العشرين، ط1، مؤسسة الثقلين، كربلاء، 2008.
31-المطيري، مهنا رباط، المفصل في تاريخ كربلاء، ج5، ط1، 2003.
32-قيا، ديليك، كربلاء في الأرشيف العثماني، دراسة وثائقية (1840-1876)، تر: حازم سعيد منتصر ومصطفى زهران، ط1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 2008.
33-مطر، سليم وآخرون،موسوعة المدائن العراقية، مركز الدراسات الامة العراقية، ميوزبوتيميا، بغداد.

34-العزاوي، عباس، تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة بغداد، بغداد، ج7.
35-الحسني، عبد الرزاق، العراق قديماً وحديثاً، مطبعة العرفان، صيدا، 1948.
36-جعفر، نوري، كربلاء بين الماضي والحاضر، الكويت، 1994.
37-المواسيل، الفرات الأوسط (رحلة وصفية ودراسات تاريخية)، تج: صدقي حمدي، عبد المطلب عبد الرحمن، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1990.
38-الكناني، عقيل عبد الأمير، جدلية الأبنية العمرانية المعاصرة وأثرها في تشكيل المدينة العربية (دراسة (التواصل / الانقطاع) في بنية كربلاء العمرانية، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، 2004.
39-حسن، علي نوري، "تجربة التخطيط المعاصرة في العراق"، المدينة والحياة المدنية تأليف نخبة من أساتذة التاريخ، دار الحرية، بغداد، 1988م، ج3.
40- آل نصر، رشا مالك محمد، أثر تغير أنظمة مسارات الحركة في استعمالات الأرض في المراكز التقليدي لمدينة كربلاء، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز الحضري والإقليمي، جامعة بغداد،2004م،.